الالتفات وأثره في اتساق القصص القرآني– سورة الكهف أنموذجاً–

The Enallage and its impact on the cohension of Quranic stories - Surat Al- Kahf as a model.

*د. علي علوش

جامعة أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت (الجزائر)، allouche77@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/09 تاريخ القبول: 2021/10/26 تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأسرار البلاغية للالتفات، وأثر ذلك في اتساق القصص القرآني– سورة الكهف أنموذجاً، ومن أجل ذلك اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد وصف النصوص مع التحليل.

إنّ الالتفات في القرآن من أكثر الأساليب استخداماً في القصص القرآني، ومن الأساليب البلاغية التي تدلُّ على روعة بلاغته وإعجازه؛ ولهذا جاء أسلوب الالتفات في سورة الكهف ليضفي إلى البناء الفني عناصر جمالية في ملامح الربط والشدَ والجذب والإثارة، فهو يساهم في تحقيق التماسك النصي بما يناسب معنى الخطاب القرآني.

كلمات مفتاحية: الالتفات؛ الاتساق؛ الأسرار البلاغية، القصص القرآني؛ الأسلوب.

Abstract: This study aims to reveal the rhetorical secrets of ennalage, and its impact on the consistency of Quranic stories - Surat Al-Kahf as a model.

The enallage in the Qur'an is one of the most widely used methods in Qur'anic stories, and one of the rhetorical methods that indicate the splendor of its eloquence and miraculousness. That is why the method of ennalage in Surat Al-Kahf came to add to the artistic construction aesthetic elements in the features of connectivity, screwing, attraction and excitement, as it contributes to achieving textual coherence in a way that suits the meaning of the Qur'anic discourse.

Keywords: Enallage; cohension; Rhetorical secrets, Quranic stories; style.

*المؤلف المرسل: علي علوش، الإيميل: allouche77@yahoo.com

1. مقدمة :

تُصَنّفُ البلاغة في الدّراسات اللغوية على أنها من علوم النّص، باعتبارها تضمُّ مباحث تسعى إلى تحقيق التماسك النّصي كالوصل والفصل، والحذف، والالتفات، وغيرها من المباحث البلاغية الأخرى، وأسلوب الالتفات من أكثر الأساليب البلاغية شيوعاً واستخداماً في القرآن الكريم. يقول يحي العلوي(749هـ): "اعلم أنّ الالتفات من أجلِّ علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها...وقد يُلَقَّبُ بشجاعة العربية، والسّبب في تلقيبه بذلك، هو أنّ الشجاعة هي الإقدام، والرّجل إذا كان شجاعاً فإنّه يرد الموارد الصّعبة، حيث لا يردها غيره، ولا شكّ أنّ الالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها "[1].

فالالتفات أسلوب من الأساليب البلاغية الجميلة الفاعلة داخل النص، والناظر في معاجم اللغة يجد الحقيقة اللغوية لكلمة الالتفات. قال ابن منظور (711هـ): "لَفَتَ وَجْهَهُ عَنِ الْقَوْمِ: صَرَفَهُ، وَالْتَفَتَ الْتِفَاتاً، والتَّلَفُّتُ أَكْثَرُ مِنْهُ، وتَلَفَّتَ إِلَى الشَّيْءِ، وَالْتَفَتَ إِلَيْهِ: صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ...وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿**وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ**﴾ [سورة هود، الآية:81]، أُمِرَ بتَرْكِ الالْتِفَاتِ، لِئَلاَّ يَرَى عَظِيمَ مَا يَنزِلُ بِهِم مِنَ الْعَذَابِ...وَاللَّفْتُ: اللَّيُّ، وَلَفَتَهُ يَلْفِتُهُ لَفْتاً: لَوَاهُ عَلَى غَيْرِ جِهَتِهِ، وَقِيلَ: اللَّيُّ هُوَ أَن تَرْمِي بِهِ إِلَى جَانِبِكَ، وَلَفَتَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَلْفِتُهُ لَفْتاً: صَرَفَهُ"[2].

وذكر الفيروز آبادي (817هـ) في قاموسه: "لَفَتَهُ يَلْفِتُهُ: لَوَاهُ، وَصَرَفَهُ عَن رَأْيِهِ، ومنه: الالْتِفَاتُ والتَّلَفُّتُ "[3]، ومنه يتبين أن المعنى اللغوي على العموم هو الصّرف من جهة إلى أخرى، فهو يتقاطع مع المعنى الاصطلاحي، فالمعنى اللّغوي عام والمعنى الاصطلاحي خاص؛ فبينهما عموم وخصوص.

2. الالتفات عند البلاغين:

إن أول من أشار إلى الالتفات هو **أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى** (210هـ) في كتابه مجاز القرآن حيث يقول: "ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشّاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال تعالى: ﴿**حتَّى إِذَا كُنتُم فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم**﴾ [سورة يونس، الآية:22]، أي بكم"[4]، نرى أن أبا عبيدة سمّى الالتفات الترك والتحويل وهو ما أشار إليه في تعريفه (ثم تركت وحولت) ثم جاء من بعده أهل البلاغة، فحددوا له أقساماً وصوراً فهو يتسع حيناً ويضيق مرة أخرى من عالم لآخر، كلٌّ على حسب نظرته لهذا المصطلح، فنجد السكَّاكي (626هـ) يُخلِطُ في إيراده تارة يجعله ضِمْن علم المعاني، وأخرى ضمن علم البديع، إذ يقول: "واعلم أن هذا النوع، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة، لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم البياني"[5]، وذكر أيضاً عند حديثه عن البديع فيقول: "ومنه الالتفات، وقد سبق ذكره في علم المعاني"[6]، وهذا مما يدل على اختلافهم في ضبط المصطلح حتى عند العالم نفسه.

أما عند **ضياء الدّين بن الأثير** (637هـ) فيقول: "هو خلاصة علم البيان التي حولها يُدَنْدَنُ، وإليها تُسندُ البلاغةُ، وعنها يُعَنْعَنُ. وحقيقته مأخوذةٌ من التفاتِ الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يُقبِلُ بوجههِ تارةً كذا، وتارةً كذا. وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصّة؛ لأنه يُنتَقَلُ فيه عن صيغة إلى صيغة، كانتقال من خطابِ حاضرٍ إلى غائبٍ، أو من خطابِ غائبٍ إلى حاضرٍ، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبلٍ، أو من مستقبلٍ إلى ماضٍ، أو غير ذلك ممّا يأتي مفصَّلاً."[7]، ولما اختلفوا في تحديده بالضرورة يختلفون في تقسيماته وأنواعه.

بما أن لكلِّ نصٍّ خصوصيته ومن خلال لغته وتراكيبه تكون دراسته، فقد ظهرت عدّة أنماط من الالتفات، ربما لم يشر إليها علماء البلاغة القدامى، كالانتقال من الإشارة إلى الغائب أي من الحضور إلى الغياب، ومن الجمع إلى المفرد إلى غير ذلك.

ونخلُصُ إلى ما رآه الأستاذ مصطفى شريقن في كتابه؛ حيث قسمه إلى[8]:

1- الالتفات بمقامات الضمائر.

2- الالتفات بالإفراد والتثنية والجمع.

3- الالتفات بالأفعال زماناً، وصورة ووزناً.

4- الالتفات بالصيغة.

5- الالتفات الدلالي.

6- الالتفات الإعرابي.

7- الالتفات الخطي.

ولمعرفة أهمية هذا الأسلوب نجد **السّكاكي** في معرض الحديث عن لطائف الالتفات يقول: "وهذا النوع قد يختصُّ مواقعه بلطائف معان قلَّما تتضح إلا لأفراد بلغائهم، أو للحذَّاقِ المهرة في هذا الفنّ، والعلماء النَّحارير، ومتى اختصّ موقعه بشيء من دلك، كساه فضل بهاء ورونق، وأورث السَّامع زيادة هزةٍ ونشاطٍ. ووجد عنده من القبول أرفع منزلة"[9]. ولقد تنوَّع أسلوب الالتفات في سورة الكهف ليضفي إلى البناء الفني عناصر جمالية النَّص في ملامح الشّدِّ والجذب والإثارة؛ ومن صور هذا التنوّع:

1.2 الالتفات من الغيبة إلى التَّكلم:

من الالتفات قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: 29]، بدأ الخطاب في الآية بلفظ من (رَبِّكُم)، وهو الضمير الذي يدلّ على الغيبة، والتفتَ بعد ذلك إلى ضمير المتكلم في غيره بلفظ (إنَّا)، وفي الحالتين الضمير عائد على الله، والأسلوب "ظاهره أمر وحقيقته وعيد وإنذارٌ أي قل يا محمد لهؤلاء الغافلين لقد ظهر الحق وبان بتوضيح الرحمان، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا"[10]، ثم التفت بضمير المتكلم (إنّا) مع الفعل (أعتدنا)، والذي يدل على " الوعيد الشّديد وتأكيد التهديد وتعليل لما يفيده الزجر عن الكفر، أو لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فإن إعداد جزائه من دواعي الإملاء والإمهال والضمير (إنَّا أعتدنا) مناسب لمقام الانتقام الشديد"[11]، فالالتفات هنا جاء مناسباً لهذا السياق، وذلك لمزيد من التأكيد على الوعيد الشديد، حتى يكون هذا الجزاء جزاء من جبار مقتدر فتحقق الاتساق النصي على مستوى هذه الآية والمعنى العام للسورة.

من صور الالتفات لتغير المكان أو بعض عناصر الصورة قوله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: 46-47]، بدأ أسلوب الإخبار بلفظ (عند ربك) وهو الضمير الذي يدل على الغيبة، والتفتَ بعد ذلك إلى ضمير المتكلم، (ويوم نسير)، (وحشرناهم فلم نغادر)، فربط الأسلوب بداية العبادة بلفظ (ربك) وتخصيص العبادة لله، وينتقل إلى مشهد من مشاهد القيامة، وفيه تتجلى قدرة الله ويزيد من أعظم وهول ذلك اليوم، ولذلك جاء بضمير المتكلم ونون العظمة؛ ليكون هذا العدول مناسباً للسّياق، وليكون أكثر حضورا في النفس مما يشعر بالمهابة ومما يؤكد تلك المهابة تكرار ضمير المتكلم (نا)، وجملة "(وحشرناهم) معطوفة على جملة "نسير الجبال" على تأويله بـ(نحشرهم) بأن أطلق الفعل الماضي على المستقبل تنبيهاً على تحقيق وقوع الحشر"[12]، فساهم الالتفات بتحقيق التماسك النصي بما يناسب معنى الخطاب.

في مشهد من مشاهد العبادة تدخل عناصر جديدة في الصورة ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: 28]، نلاحظ كيف بدأ الخطاب مع المؤمنين بأسلوب فيه تخفيف وما يناسب طبيعتهم (ربهم)، (يريدون وجهه)، فهم يبتغون بدعائهم وجه الله وأقل التفاتة تؤثر فيهم؛ لأنهم من ضعفاء وفقراء المسلمين، أما الكفار فهم بحاجة إلى ما يردعهم ويزجرهم، وهذا ما نراه في العدول في أسلوب الخطاب، من ضمير الغائب (يدعون ربهم)، إلى ضمير المتكلم (أغفلنا) وهذا أوقع في النفس وخاصة النفس الغافلة؛ كي تتنبه من غفلتها، فجاء الالتفات ليحدث التناسق بين اللفظ والمعنى، والترابط شكلاً ودلالة.

في مشهد من مشاهد التصوير الفني في القرآن الكريم، يقوم أسلوب الالتفات بحركات سريعة ومفاجئة، تقرّبُ البعيدَ وتوضّحُ الغامضَ، ومثلُ ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: 48]، إن الالتفات في هذه الآية من ضمير الغيبة (على ربك)، إلى ضمير التّكلم (لقد جئتمونا كما خلقناكم) لهو: "هذا الالتفات من الوصف إلى الخطاب يحيي المشهد ويجسمه، كأنما هو حاضر اللّحظة، لا مستقبل في ضمير الغيب في يوم الحساب)[13]، يرتبط مع الانتقال في طبيعة المشاهد يوم القيامة من حيث شدة الموقف والحركة التي يقوم بها البشر في ذلك الموقف العظيم. ومن جماليات التّعبير ﴿**وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ**﴾، يوضّح أبو السّعود ذلك في تفسيره بأنه: "شبّهت حالهم بحال جندٍ عرضوا على السّلطان ليأمر فيهم بما يأمر، وفي الالتفات إلى الغيبة وبناء الفعل للمفعول، مع التعرض لعنوان الرّبوبية والإضافة إلى ضميره عليه السّلام، من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء وإظهار اللّطف به عليه السلام ما لا يخفى"[14]، فجاء الالتفات لمزيد من التهديد والوعيد وهو ما أشار إليه الطاهر بن عاشور بقوله: "والخبر في قوله (ولقد جئتمونا) مستعمل في التغليظ والتهديد والتنديم على إنكارهم البعث. والمجيء: مجاز في الحضور، شبهوا حين موتهم بالغائبين وشبهت حياتهم بعد الموت بمجيء الغائب "[15].

2.2 الانتقال من المتكلم إلى الغائب:

من مشاهد السرد المتغيرة في القصة حسب المواقف والأحداث وطبيعة الشخصيات فتنتقل معها أساليب الخطاب، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: 64]، أسلوب الخطاب انتقل من لفظ (ما كنَّا) الذي يدلُّ على ضمير المتكلم إلى لفظ (فارتدَّا على آثارهما) الذي يدلّ على ضمير الغائب، الذي يتأمّل هذه الآية، فإنه يكون أمام مشهد متحرك فيه موسى عليه السلام وفتاه مقبلان، تنظر إليهم وتسمع كلامهم في لحظة حضور، فكان أسلوب الكلام للمتكلم والحضور، تنقلب تلك اللحظة مباشرة بعد أن وجدا الإشارة، فاستدارا ورجعا إلى الوراء فلم نعد نرى وجوههم، ولا نسمع كلامهم فأضحوا في حالة الغياب بالنسبة للمستمعين؛ ولذا كان التعبير عنهم بضمير الغائب هو الأدقُّ في رسم المشهد.

يظهر أثر التفاعلية في الحدث في قوله تعالى: ﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: 96]، بدأ الخطاب بأسلوب المتكلم (آتوني)، حيث الحضور البارز والفاعلية لذي القرنين في أحداث المشهد، فانتقل من أسلوب الخطاب إلى الغيبة عندما انشغل بالعمل (حتى إذا سَاوَى)، (قال انفخوا) وبعد أن انتهى من العمل، عاد الحضور قال تعالى: ﴿ **قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: 96]، ليعود الأسلوب من حيث بدأ ويعيد القوة في الظهور، ومن هذا نرى ما يضفيه أسلوب الالتفات من جمال على النص وظلاله، فيفيد التجميل لأسلوب القرآن وتلويناً به حتَّى لا يملَّ السّامع من التزام حالة واحدة، وفي تماسك منتظم شكلاً ودلالةً.

3.2 الانتقال من الغائب إلى المتكلم:

من المستويات التي يظهرها الالتفات ما يمثل في الغياب والحضور، ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: 34]، وبأسلوب محكمٍ ومنتظمٍ يكون العدول من زمن إلى زمنٍ آخر، وخاصة إذا كان يتعلق بالنفس الإنسانية، تحوّل الأسلوب من ضمائر الغائب المتتابعة (فقال له صاحبه)،

(وهو يحاوره)، تتحوّل إلى ضمير التكلّم (أنا أكثر منك)، في إحساس من التكبّر والبطر الذي أخذ يسيطر على نفس ذي صاحب الجنتين، "فملء نفسه البطر، وملء جنبه الغرور بالجنتين، ويزدهيه النّظر إليهما، فيحس بالزّهو، وينتفش كالدّيك، ويختال كالطّاووس، ويتعالى على صاحبه الفقير"[16]، فأقبل من الغياب إلى الحضور، فهذا الالتفات يعطي المفردة القرآنية الملتفت إليها إيقاعها الذي يتلاءم مع صورة مشهد التجبر والافتخار، الذي يستدعي ضمير الحضور (أنا أكثرُ منك مالاً وأعزُّ نفراً)، مما حقق التماسك النصي شكلاً ودلالةً.

ومثله في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: 105]، العدول من ضمير الغيبة (كفروا بآيات ربهم ولقائه)، إلى ضمير التكلّم (فلا نقيم)، التفات عن قوله (بآيات ربهم)، ومقتضى الظاهر أن يقال (فلا يقيم لهم)، ونفي إقامة الوزن مستعمل في عدم الاعتداد بالشيء، وفي حقارته لأنّ الناس يزنون الأشياء المتنافس في مقاديرها والشيء التّافه لا يوزن، فشبهوا بالمحقرات على طريقة المكنية وأثبت لهم عدم الوزن تخييلاً، وجعل عدم إقامة الوزن مفرعاً على حبط أعمالهم لأنهم بحبط أعمالهم صاروا محقرين لا شيء لهم من الصَّالحات"[17]، فالغرض البلاغي من هذا الالتفات هو زيادة تحقيرهم، فحوّل هذا الأسلوب ليجذب الانتباه إلى هذا الغرض البلاغي فيتعظ العباد ويجتهدوا للعمل الصَّالح، فتناسب الالتفات مع المعنى المقصود ممّا حقّق التماسك الشّكلي والدلالي.

4.2 الانتقال من خطاب الجمع إلى المفرد:

إن المتأمل لحالة الانتقال من الجمع إلى المفرد يشعر بانتقاله من حالة اتساع إلى التمركز في التعبير أو التصوير، فيكشف بذلك جوانب قد تكون خفية مع الصورة المجملة ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [سورة الكهف، الآية:29]، التفات من ضمير الجمع (ربكم) إلى ضمير الإفراد (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، فالخطاب للجميع (ربكم)؛ لأنّ الله رب الجميع ربُّ المؤمنين والكافرين، أمَّا اختيار الإيمان والكفر فهو متعلّق بكل واحد من البشر؛ ولهذا جاء الخطاب للمفرد بعد أن كان للجمع، "والتعبير (من ربكم) للتذكير بوجوب توحيده، والأمر في قوله (فليؤمن) وفي قوله (فليكفر) للتسوية المكنّى بها عن الوعد والوعيد، وقدَّمَ الإيمانَ على الكفر لأنَّ إيمانهم مرغوب فيه"[18].

ومثله قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**﴾ [سورة الكهف، الآية:30]، بداية كان الحديث عن المؤمنين الذين يعملون الصّالحات (وعملواْ الصّالحات)، وهو يدلُّ على الجمع، وذلك لتحفيز وترغيب المؤمنين على الإكثار من الأعمال الصّالحة، فيتحوّل إلى المفرد (أجرَ)، فالأعمال الصالحات يترتب عليها أجور، ولكن سياق النفي الذي خصَّ القليل فإنّه يشمل الكثير؛ فإذا كان عند الله القليل من الصالحات لا يضيع، فلن يضيع لديه الكثير.

ومن باب الأدب في الخطاب والحديث ما تمثل على لسان فتى موسى a في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**﴾ [سورة الكهف، الآية:63]، فانتقل من المثنى (أوينا) والآية التي قبلها كذلك المثنى (نسيا)، إلى المفرد في هذه الآية (فإني نسيت)، يذكر القرطبي في تفسيره: " (فلما جاوزا) يعني الحوت هناك منسياً. أي متروكاً، فلما سأل موسى الغداء نسب الفتى النسيان إلى نفسه عند المخاطبة، وإنما ذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصّخرة، فقد كان موسى شريكاً في النسيان؛ لأن النسيان التأخير...فلما مضيا من الصخرة أخَّرا حوتهما عن حمله فلم يحمله واحد منهما، فجاز أن ينسب إليهما لأنهما مضيا وتركا الحوت"[19]، ولكن الفتى

احتراما وتأدبا مع النبي موسى لم يشركه في فعل النسيان، ونذكر في هذا المقام خلق موسى وطيب معاملته للفتى فلم يقل (ذلك ما كنت أبغ) بل أشركه معه في الفعل فقال (ذلك ما كنَّا نبغ).

ومثل ذلك سيدنا الخَضِر تمثل فيه نفس الخلق من التّأدّب في الخطاب بإضافة الخير إلى الله؛ حيث قال الله على إعابة السّفينة على لسان الخَضِر (**فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كلَّ سفينةٍ غصباً**)، فنسب الخَضِر العيب إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله لأنه تسبب في حدوثه"[20]، فجاء الالتفات وفقاً لمراد المعنى ممّا ساهم في تحقيق الاتساق في الآيتين.

ومن الأمثلة التي جمعت غير نوع من الالتفات ما في قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ [سورة الكهف، الآية: 13]، إذ تبدأ الآية بأسلوب المتكلم المفرد، و(نحن) لتعظيم ذات الله عزَّ وجلّ، إلى ضمير الجمع الغائب (إنّهم فتيةٌ)، (ءامنواْ بربهم)، اختصَّ علم اليقين بالله تعالى فكان الضمير نحن الذي يفيد التعظيم، ويضفي ظلالا على تفرّد الله تعالى بالعلم وحده دون غيره، والانتقال من (آمنوا) حسب ما يُمهّدُ له الأسلوب السابق إلى (بربهم) وذلك لربط الإيمان بالرَّبّ، وهذا مما يقرب العبد إلى ربه ويحببه إليه، وذلك تأكيدٌ للمعنى، وهو ما أشار إليه صاحب روح المعاني في تفسيره لهذه الآية حيث يقول: "وفيه التفات من التّكلم إلى الغيبة، وأوثر للإشعار بعلية وصف الرّبوبية لإيمانهم ولما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم"[21]، فجاء الالتفات لتأكيد المعنى في أسلوب محكم منتظمٍ متّسِق شكلاً ودلالةً.

5.2 الانتقال من الإشارة إلى الغائب:

وبما أن الإشارة في الغالب تعطي ملمح الحضور، ففي قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾ [سورة الكهف، الآية:98]، "والإشارة بهذا إلى الرّدم، وهو رحمة للناس لما فيه من رد فساد أمّة يأجوج ومأجوج عن أمّةٍ أخرى صالحة، و(من) ابتدائية، وجعلت من الله لأن الله ألهمه لذلك ويسّر له ما هو صعبٌ...والوعد هو الإخبار بأمر مستقبل...جعله ذكّاً، أي جعله مدكوكاً وهو ما سيؤول إليه في الزمن الآتي وهو الزمن الغائب"[22]، فالالتفات من اسم الإشارة (هذا) الذي يدلّ على الحضور، إلى ضمير الغياب (جعله) حقّق تناسباً بين الحضور والغياب وتماسكاً في اللفظ والمعنى.

من أسرار الالتفات التي تلزم السامع في التفكير ما ورد في قوله تعالى: ﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: 33]، في الآية نظام نحوي له سمة خاصة، فقد أخذ النحاة منها أنه يخبر عن (كلتا) بالمفرد، على أساس اللفظ وليس المعنى. وبناء على ذلك لا يتشكل أسلوب التفات، أما من نظر في العبارة بعمق وربط المعاني بالأسلوب الذي اختارته الآيات، حيث المشهد بين منظورين لشخصين مختلفين: الأول ينظر إلى نعم الدنيا بعين التعظيم، فيرى الشيء أكبر من حقيقته، ولذا يضل ويغوى بها وهذا حال الكافر. والثاني ينظر إليها بعين الزهد والرضا فيراها على حقيقتها وربما أقل من ذلك، فالانتقال من التثنية إلى المفرد هو انتقال بين حالتين وشخصيتين متمايزتين، الكافر من منظور والمؤمن الراهن والمزيد عن الله من منظور آخر.

6.2 الانتقال بين صيغ الأفعال:

الأفعال ذات طبيعة تصويرية، بحيث تنقل المشهد بأسلوب يتعايش مع الحدث، والتنوع في الأفعال أو الانتقال من صيغة إلى أخرى، فيلفت انتباه السامع، ويناسب مفردات المشهد في نظم قادر على تحليل الأبعاد النفسية، ومن ذلك ما يتمثل في قوله

تعالى: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [سورة الكهف، الآية:49]، تتابع لصيغ الأفعال (وضع)، (فترى)، (ووجدواْ)، (ولا يظلم ربك أحداً)، فالفعل الماضي (وُضِعَ) الذي بدأ معه المشهد يدل على تمكّن الحدث وحتمية وقوعه، ثم يليه الفعل المضارع المتميز بقدرته على تصوير المشهد وتحليله، فتتابعت الأفعال المضارعة (فترى)، (ويقولون)، (لا يغادر)، بالإضافة إلى اسم الفاعل (مشفقين) الذي كشف البعد النفسي لدى المجرمين. فيعود النّظم إلى الفعل الماضي (ووجدواْ ما عملواْ حاضراً) ليصف الأحداث وهو وقوف المجرمين أمام هذه المفاجأة غير السّارّة لهم، ويُخْتَمُ المشهد بهذه الحقيقة التي لا مفرّ منها (ولا يظلم ربك أحداً)، ليرجع الإنسان إلى عدل ربّه آمناً مطمئناً، فيكون الالتفات بين هذه الصيّغ قد صوّر مشهداً من مشاهد يوم القيامة، بأسلوب منتظمٍ متماسك الأجزاء بين ألفاظه ومعانيه.

من أسلوب الالتفات القائم على صيغ الأفعال ما نجده في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [سورة الكهف، الآية:31]، يصوّر صاحب الظلال هذا المقطع بقوله: " الذين آمنواْ وعملواْ الصّالحات في جنّات عدن، للإقامة تجري من تحتهم الأنهار بالرّي وبهجة المنظر واعتدال النّسيم، وهم هنالك للارتفاق حقّاً (متّكئين فيها على الأرائك) وهم رافلون في ألوان من الحرير، من سندس ناعم خفيف ومن إستبرق مخمل كثيف، تزيد عليها أساور من ذهب للزّينة والمتاع (نعم الثواب وحسنت مرتفقاً)"[23]تسير الأفعال في نسق واحد (تجري)، (يُحَلَّوْنَ)، (يلبسون)، ودلالة الفعل التّجدّد والتّغيّر، فانسجم كل ذلك مع المياه والتّحلية واللّباس، وبعدها يتحوّل التعبير إلى الاسم ليعطي ملامح الثّبات والدّوام؛ إذ كان بإمكانه أن يكون التعبير (يتّكئون)، على حسب مقتضى الظاهر والتّتابع السّياقي للكلام، ولكن تحوّل التعبير من الفعلية إلى الاسمية (متّكئين)، فبعد هذا الالتفات في صيّغ الأفعال من التّغيُّر والتجدد إلى الثّبات والدّوام يجعلُ المتلقي يشعر بالهدوء والاستقرار، فأعطى الالتفات انسجاماً واتّساقاً بين دلالة صيغ الأفعال والمعنى المراد والمقصود من النّظم القرآني. ومما ذكر من أمثلة يتبين منها أن أسلوب الالتفات أسلوب عدولي فيه الخروج عن مقتضى الظاهر، الذي يهب له السياق وهذا الأسلوب يعطي المتكلم أو الكاتب مجالا رحبا للتعبير عن الآراء بطرق مختلفة"[24].

3. خاتمة: في خاتمة هذا البحث نستنتج أن الالتفات يشكّلُ أداة ربطٍ ووصل بين الآيات والجمل، وهذا من خلال اعتماده على الإحالة بالضمائر إلى سابق أو لاحق، ومن ثَمَّ الاستمرارية في التراكيب، ممّا يسهم في حدوث التماسك النّصي وتحقيق استمرارية نص القصص القرآني.

4. قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

أ/الكتب

- **العربية**

1. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، ط2، (دت).
2. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (1401هـ/1981).
3. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د ط)، (1391هـ/1971م).

4. أبو عبيدة معمر بن المثنّى، مجاز القرآن صنعة، تح: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، 1988م.
5. أحمد مطلوب، أساليب بلاغية (الفصاحة-البلاغة-المعاني)، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1981م.
6. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د ط)، (1408هـ/1987م).
7. السكّاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1403هـ/1983م).
8. سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط10، (1402هـ/1982م).
9. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1415هـ/ 1995م).
10. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: الشيخ خليل محي الدّين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، (1424هـ/2003م).
11. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للطبع والنشر، (د ط)، 1984م.
12. محمد علي الصّابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، (1402هـ/1981م).
13. محمود السيّد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، (1400هـ/1981م).
14. مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية، الجزائر، (د ط)، (1430هـ/2009م).
15. يحيى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخلدونية، مطبعة المقتطف، مصر، (د ط).

5. قائمة الإحالات:

1 _ يحيى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخلدونية، مطبعة المقتطف، مصر، (د ط)، ج2، ص131.
2 _ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (1401هـ/1981)، مج5، ج45، ص4051.
3 _ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1415هـ/ 1995م)،ج1، ص211.
4 _ أبو عبيدة معمر بن المثنّى، مجاز القرآن صنعة، تح: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، 1988م، ج1، ص273.
5 _ السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1403هـ/1983م)، ص199.
6 _ المصدر نفسه، ص429.
7 _ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوى طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، ط2، (دت)، ج2، ص167-168.
8 _ مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية، الجزائر، (د ط)، (1430هـ/2009م)، ص155.
9 _ السكاكي، مفتاح العلوم، ص200-201.
10 _ ينظر: محمد علي الصّابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، (1402هـ/1981م)،ج2، ص190.
11 _ ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د ط)، (1391هـ/1971م)، ج3، ص518.
12 _ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للطبع والنشر، (د ط)، 1984م، ج15، ص335.
13 _ ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط10، (1402هـ/1982م)، مج4، ج15، ص2274.
14 _ أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص527.
15 _ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص336.
16 _ ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2270.
17 _ محمد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص48.
18 _ المصدر نفسه، ج15، ص307.
19 _ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: الشيخ خليل محي الدّين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، (1424هـ/2003م)، مج5، ج10، ص314.
20 _ ينظر: محمود السيّد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، (1400هـ/1981م)، ص346-347.
21 _ الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د ط)، (1408هـ/1987م)، مج8، ج15، ص217-218.

22 _ ينظر: محمد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص39-40.

23 _ سيّد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2269-2270.

24 _ أحمد مطلوب، أساليب بلاغية (الفصاحة-البلاغة-المعاني)، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1981م، ص287.